تدبر في اية ١١٨من سورة التوبة

تدبر في اية ١١٨من سورة التوبة

اعداد الدكتور
السيد حسين الموسوي الصافي

المحتويات

المعنى العام.....٣
تساؤلات حول الآية مع أجوبتها.....٤
دروس مستفادة من الآية.....٥

بسم الله الرحمن الرحيم

تدبرات في قوله: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) التوبة: 118

المعنى العام

لغة: **الرحب**: السعة[1]. الملجأ: الجهة من المكان وغيره[2].

دلالة: الآية بصدد الحديث عن حال قبول توبة النفر الذين امتنعوا عن الخروج مع النبيِ والمسلمين في غزوة تبوك فقد واجهوا مقاطعة وعزلة اجتماعية عارمة مما أدى بهم الى تأنيب ضمير كبير وعذاب نفسي شديد وانقطعوا الى الله بتضرع وتوبة نصوحة وقد استجاب لهم سبحانه بعد ذلك وارجعهم الى حالتهم النفسية والايمانية السابقة وهو سبحانه المتصف بمبالغة الغفران وقبول المعتذر المتندم الصادق والمتلبس بمعاملته للعباد بمنطلق الرحمة والعطاء.

تساؤلات حول الآية مع أجوبتها

السؤال الأول: ما هي العلاقة بين هذه الآية: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا...الخ) مع سابقتها؟

الجواب: **الترابط المعنوي**: تحدث سبحانه في الآية السابقة (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ...الخ) عن التوبة مع ذكر مواردها وهم شريحتان الاولى الذين مروا باختبار عسير وقد ذكرهم فيما تقدم والشريحة الثانية هؤلاء الذين تخلفوا عن الخروج مع النبيِ في غزوة تبوك, فتكون الآيتين عبارة عن معنى واحد والواو عاطفة عطف جملة على جملة.

(1) مختار الصحاح, محمد ابن ابي بكر الرازي, ص130

(2) انظر: لسان العرب, ابن منظور, ج1 ص152

السؤال الثاني: لماذا أفرد سبحانه هؤلاء النفر هنا (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا...الخ) ولم يدخلهم في الآية السابقة للاختصار, لكون الآية السابقة تتحدث عن التوبة وقبولها؟

الجواب الأول: **للفارق بين الموردين**: هناك تتحدث عن توبة الافراد الذين خرجوا مع النبيُ وهنا تتحدث عن الشريحة التي تخلفت ورفضت الخروج مع النبيُ ودمجهم يلزم ابهام من تصور الكل خرج لغزوة تبوك اضافة الى عدم انصاف وضياع حق الشريحة الخارجة.

الجواب الثاني: **للفارق بين التوبتين**: التوبة في الآية السابقة توبة رحمة ورأفة حيث أنّها ترتبط في الجانب التكويني من العسرة الشديدة جراء الظروف المناخية وما شاكلها ولذلك ختم الآية أنّ سبحانه (بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ). اما في هذه الآية توبة غفران لكونها ترتبط بالشريحة التي عصت وتخلفت عن تلبية نداء النبيُ في مواجهة الكفار ولذلك خُتمت الآية بقوله: (هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ).

السؤال الثالث: ما هو الداعي في مجيء حرف (على) هنا في قوله: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا...الخ) مع أنّه يمكن الاستغناء عنه للاختصار كأن يقول: (والثلاثة الذين خلفوا...)؟

الجواب: **لبيان العطف**: المراد من الجملة كما تقد العطف أنّه سبحانه تاب على الشريحة السابقة وايضا تاب على الثلاثة الذين تخلفوا ومع حذف الحرف لا تستقيم العبارة.

السؤال الرابع: ما هو السبب في عدم تصريح المولى باسماء المتخلفين هنا في قوله: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا...) وكتفى بالاشارة اليهم فقط؟

الجواب الأول: **لوضوح حالهم**: الكل يعرفهم بشاهد الحال من عدم وجودهم في أوساط الجيش ولا داعي لذكر اسمائهم حيث يلزم منه التطويل بلا طائل.

الجواب الثاني: **للتستر**: طالما المولى يتعامل مع العبادة بمنطلق الستر وعدم الافضاح لكي يبقى طريق الرجوع والتوبة مفتوح مع الحفاظ على كرامته.

الجواب الثالث: **للعموم**: القرآن لم يتقيد بزمان أو مكان وانّما نزل للكل فعندما ذكرهم بالاشارة ليعطي بعدا الى أنّ الكل ينطبق عليه الحكم الحاضر ومن يأتي اما في حال ذكرهم ليتوهم أنّ الخطاب محصور بهم.

الجواب الرابع: **للتجنب المناهضة والتحريف**: ذكر الاسماء غالباً خلاف السياسة الصائبة ومؤدية للاختلاف والشقاق والاختلال بالنظام العام لا سيما في دستور الاسلام الخالد حيث المصرح باسمائهم هم أم قبائلهم أم اصحابهم أم ذراريهم يأخذون مواقف سلبية وايجاد اضطراب في النظام العام وتحريف في القرآن.

السؤال الخامس: الذين تخلفوا عن المعركة كثيرون لماذا ذكر سبحانه ثلاثة منهم فقط هنا في قوله: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا...الخ).

الجواب: **لنصح توبتهم**: منهم تخلفوا بعذر كالكبار والمرضى ومنهم بتعيين من النبيُ كامير المؤمنين, ومنهم تخلفوا من دون عذر منهم منافقون كما في قوله: (سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ...) ومنهم مؤمنون وقد تابوا توبة نصوحة وصادقة وهم الثلاثة.

السؤال السادس: أليس الجهاد واجب كفائي ولم يكن الزامياً فلماذا فرضه المولى على الثلاثة الذين تخلفوا هنا (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا...الخ) مع انّ الجهاد سقط عنهم فقد قام به غيرهم؟

الجواب الأول: **تعين الجهاد عليهم**: في الوجوب الكفائي يسقط الجهاد اذا كان العدد كافياً لصد لعدو او عدم زخف الكفار عليهم أو لم يصدر تعيين لهم من قبل النبيُ وهذه الثلاثة غير محروزة فيهم.

الجواب الثاني: **ميولهم للمنافقين**: بحسب آيات سورة التوبة تشير ان الذين تخلفوا هم المنافقون وكانوا يخططون لفعل ما وربما أولئك الثلاثة والله العالم انجرفوا معهم أو مالوا اليهم أو تأثروا بهم وبعد ذلك وفقهم المولى للتوبة والابتعاد عن المنافقين ولذلك هم فقط شملتهم التوبة دون الشريحة التي اعتذرت بالسنتهم فقط. وايضا يدل عليه الفعل المبني للمجهول (خُلِّفُوا) أي هناك من اضطرهم للتخلف.

السؤال السابع: ما هو السبب في مجيء الفعل (خُلِّفُوا) هنا (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا...الخ) مبني للمجهول ولم يقل مثلاً: (وعلى الثلاثة الذين تخلفوا)؟

الجواب الأول: **بمعنى الترك**: الذين لم يخرجوا مع النبيُ للجهاد مع توفر الشروط بهم اطلق عليهم القرآن اسم (المخلفون) أي المتروكون بعد النبيُ كما يشير قوله: (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) وهو يشير الى توبيخهم وتحقيرهم.

الجواب الثاني: **لوجود مُخَلِّف**: يشير هذا التعبير الى وجود مُخَلِّف لهم ومثبط ومانع وهو اما المولى سبحانه كما تقدم (وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ) أو عوامل أخرى من الغرائز أو الشيطان... وهو مما يشير الى أن هذه الشريحة هناك من منع خروجها وخلّفها.

السؤال الثامن: كيف صح اسناد الضيق (للارض) هنا في الآية (حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) مع أنّها لا يمكن فيها ذلك؟

الجواب: **من باب المجاز العقلي**: كثير ما نجد في القرآن الذي نزل بلغة العرب كنايات ومجازات وهذا يعد من المجاز العقلي كما جاء في الشعر: لا تحسبن سرورا دائما أبدا * من سره زمن ساءته أزمان[3]. وهنا كناية لشدة التحير وعدم الاطمئنان لما حل بهم من ندم وتوبيخ الضمير ولاستشعار بالذنب كما يشير له التعبير اللاحق: (وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ).

السؤال التاسع: ما هو المغزى في التعبير بحرف الجر (على) هنا في قوله: (إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ) دون التعبير بغيره من الحرف مثلا: بحرف (من) أو حرف (الباء) كأن يقول: (اذا ضاقت بهم أو فيهم الارض)؟

الجواب: **للاستعلاء والاحاطة**: الثابت في محلّه أنّ التعبير بحرف الجر (على) يفيد الاستعلاء والسيطرة والاحاطة ليبين سبحانه مدى التأثير في هؤلاء وان سبب هذا الضيق نازل من العالي بخلاف حرف (الباء) فانّ معناه الاصلي الالصاق وهنا الضيق ليس لاصق بهم بل هو متغلغل في نفوسهم وكل وجودهم اما حرف (في) يفيد الظرف ولا يستقيم معناه هنا لان الانسان مظروف. مع انهما لا يشعران عن مسبب الضيق.

السؤال العاشر: ما هو الداعي في استعمال حرف الشرط (اذا) هنا في قوله: (حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ...) دون غيره مثلا حرف الشرط (ان) كأن يقول: (حتى ان ضاقت عليهم الارض)؟

الجواب: **لتحقق الوقوع**: ثبت عند اهل الاختصاص انّ التعبير بحرف الشرط (إن) يفيد احتمال الوقوع ليس وجوب وقوعه كما في قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) بخلاف حرف الشرط (اذا) حيث يدل على تحقق وقوعه كما في قوله: (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ

(3) حياة الحيوان الكبرى, كمال الدين دميري, ج1 ص251

أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ). وهنا سبحانه يشير الى تحقق ووقوع هذا الضيق فيهم لذلك استحقوا قبول التوبة.

السؤال الحادي عشر: ما هو الهدف في مجيء (حتى واذا) هنا في قوله: (حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ) مع امكان الاستغناء عنهما للاختصار وتحقق المعنى من دونهما ويقول مثلاً: (وعلى الثلاثة الذين خلفوا ضاقت عليهم الارض...؟

الجواب: **لتحقق مقتضى التوبة**: عندما ذكر سبحانه أنّه تاب عليهم بيّن أنّهم قد حققوا اسباب قبول التوبة الذي جعله سبحانه بتعبير المقدم المعبر عنه بالشرط ثم ذكر التالي وهو قبول التوبة الذي هو عبارة عن جواب الشرط لكي يشعر أنّ قبول التوبة جزاء لما حققوه من الشروط. اما مع حذف اداة الشرط لا نلمس هذا المعنى بل يكون مجرد اخبار.

السؤال الثاني عشر: لماذا اسند سبحانه (الضيق) الى (الارض) هنا في قوله: (حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ) دون اسناده الى (الدنيا) ويقول مثلاً: (حتى اذا ضاقت عليهم الدنيا) ليشمل سعة الضيق سواء في الارض أم غيرها؟

الجواب الأول: **باعتبارها الموطن**: ذكر سبحانه الارض لكونها موطن الانسان ومحل عيشه وليس له سواها فهي ضاقت به.

الجواب الثاني: **اطلاق الجزء وارادة الكل**: المقصود ضاقت عليه الدنيا وذكر الأرض التي هي موطنه وسبب بقائه في الدنيا من باب ذكر الجزء وارادة الكل اي الدنيا ولذلك قالت (وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ) أي ضاق عليهم كل الكون والدنيا.

السؤال الثالث عشر: لم تكن الأرض واسعة قياسا بالكواكب الأخرى فيكيف وصفها سبحانه بكونها واسعة هنا في قوله: (حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ)؟

الجواب: **المراد كل الكواكب**: المراد بالأرض العموم وهي سواء كان هذا الكوكب أم غيره حيث أنّ لفظ الأرض يطلق على ما سفل كل الكواكب الارضية الواسعة ام غيرها تسمى ارض كما في قوله: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) والخليفة في الدنيا بكل كواكبها مع انّه لم يكن بهذه الارض بحسب القول المشهور.

السؤال الرابع عشر: ما هي الحكمة في التعبير بلفظ (الرحب) هنا في قوله: (حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) دون التعبير بلفظ (السعة) كأن يقول: (حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما وسعت)؟

الجواب الاول: **لشمولها السعة وغيرها**: ربما والله العالم لفظ الرحب تطلق على السعة العامة في المكان ومستلزماته من توفير الطعام والشراب والراحة وهذا ما يستخدم في الترحيب بقولهم: (على الرحب والسعة).

الجواب الثاني: **لخصوصها بالمحل**: كلمة الرحب أخص من مادة السعة حيث أن السعة أعم تشمل المحل المكاني وغيره حتى المعنوي كما قال: (وسع علمه) أما مادة الرحب فتخص المحل في المكان المادي والكلام في الآية يتحدث حول السعة الخاصة بالمحل المكاني وهو الأرض, هذا ما ذهب اليه بعض الأعلام المعاصرين بقوله: ولمّا كانت موارد استعمال الرحب في الآيات الكريمة مخصوصة بالمحلّ عبّر فيها بهذه المادّة دون مادة السعة[4].

السؤال الخامس عشر: ما هو السبب في تكرار لفظ (الضيق) مرتين هنا في قوله: (ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ) مع امكان الاستغناء بواحدة للاختصار؟

الجواب: **للتفريق**: يشعر سبحانه وتعالى بهذا التعبير أنّ الضيق اعتراهم بشكل منفصل في الجانب المادي وايضا في الجانب المعنوي كل على حدة وعند عدم التكرار يلزم الابهام في أن الضيق اعتراهم من لحاظ واحد والشاهد على ذلك تكرار لفظ (عليهم), فلم يقل: وضاقت أنفسهم.

السؤال السادس عشر: لماذا قدم سبحانه ضيق الأرض على ضيق النفس هنا في قوله: (ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ) دون العكس لكونه مقارب للواقع؟

الجواب: **من باب المقدمة**: عادة تضيق النفوس بسبب التأثيرات الخارجية فعندما ينبذ اجتماعيا يؤثر على الجانب النفسي ويعتريه الهم والقلق والكآبة فعندما يكون ضيق في الخارج يلحقه ضيق في النفس حتماً وهذا مما دعا تقديم الضيق الخارجي على الضيق النفسي لكون من باب المقدمة.

---

[4] التحقيق في كلمات القرآن الكريم, الشيخ حسن المصطفوي, ج4 ص84

السؤال السابع عشر: ربما يفهم أنّ هؤلاء لازالوا يعيشون الشك وعدم الإيمان حيث كانوا يظنون بالوحدانية كما قال عنهم سبحانه: (وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ) فيف استحقوا التوبة؟

الجواب الأول: **الظن هنا بمعنى العلم**: المراد من استعمل لفظ (الظن) هنا العلم وهذا موجود في جملة من الآيات منها: (وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُواقِعُوها). أي استيقنوا انهم ملقون فيها. ومنها: أنّه سبحانه مدح الخاشعين بقوله: (إِلَّا عَلَى الْخاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وأَنَّهُمْ إِلَيْهِ راجِعُونَ) ولو كان فيهم الضعف والشك الايماني لما استحقوا المدح.

الجواب الثاني: **الظن هنا بالمرتبة العالية**: الظن لا يدل على التشكيك وضعف الايمان في كل الحالات, بل هو يأتي في بعض الحالات بدرجة عالية قريب اليقين كما جاء في منطق المظفر: الظن، وهو أن ترجح مضمون الخبر أو عدمه مع تجويز الطرف الآخر، وهو أدنى قسمي التصديق[5].وفيه إشارة الى أنّ المطلوب في الاعتقادات ليس اليقين لكونه تكليف بما لا يطاق.

السؤال الثامن عشر: لماذا استعمل سبحانه لفظ (الظن) هنا في قوله: (وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ) دون لفظ العلم أو اليقين كأن يقول: (وعلموا أن لا ملجأ من الله إلا اليه)؟

الجواب الاول: **صعوبة اليقين في الاعتقادات**: مادام الانسان في عالم الفناء والمادة وفي وحل الحجب يصعب عليه القطع اليقيني في الغيبيات نعم ربما يصل الى درجة عالية من المعرفة والعلم لكن ليس بشكل يقيني قطعي لا سيما في الأمور النظرية. فالمطلوب هو الظن الكافي نعم غير الكمل فهم وصلوا الى اليقين ولذلك قال سيد الاوصياء (لو كشف لي الغطاء ما ازدت يقينا) [6]. فالغطاء يكون مانع من اليقين الحسي الواقعي.

الجواب الثاني: **مقدمات اليقين**: هؤلاء لازالوا في بداية الطريق الى الله حيث تابوا مما كانوا عليه فهم لا زالوا في مرتبة الظن حتى يستقر الايمان المعرفي في قلوبهم فلا ينطبق عليهم اليقين في هذه المرتبة والحالة الا بعد طي مراحل.

---

[5] المنطق, الشيخ محمد رضا المظفر, ص18

[6] مناقب ال ابي طالب, ابن شهر اشوب, ج1 ص317

السؤال التاسع عشر: كيف يمكن اللجوء الى الله كما في قوله هنا (وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ) مع أنّه سبحانه يستحيل تحيزه بمكان؟

الجواب الاول: **اللجوء المعنوي**: ليس المراد اللجوء الى الله في الجسد المادي والحضور عنده بل المراد اللجوء اليه في الامتثال لاوامره ونواهيه والسير على نهج رسله وانبيائه فهذا الملجأ من الهلاك وسفينة للنجاة كما ورد في ذلك ايات منها: (قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) وروايات منها: عن رسول' مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق [7].

الجواب الثاني: **اللجوء في الجزاء**: ليس المراد اللجوء في الأجساد وانما المراد اللجوء في الاعمال من قبيل قوله تعالى: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) أي الى ساحة حكمه وعدله وفصلة فهو الحاكم والمالك المطلق.

السؤال العشرون: ما هو الداعي من ذكر القيد (من الله) هنا في قوله: (وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ) حيث يمكن التعبير من دونه للاختصار مع تحقق الغرض كأن يقول: (وظنوا ان لا ملجأ الا اليه)؟

الجواب: **لضرورة مقتضى السياق**: بما أنّ الكلام حول عصيان هؤلاء وارتكابهم التمرد على احكام الله فلا يوجد ملجأ ومغيث وحامي لهم من الله في كل بقاع الأرض الى اللجوء له وطلب العفو والمغفرة اما اذا لم يذكر القيد فلا يستقيم التعبير حيث هناك ملاجأ جعلها المولى للعباد.

السؤال الحادي والعشرون: ما هو المغزى في التعبير بلفظ (ملجأ) هنا في قوله: (وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ) دون غيره من التعابير ك(مأوى) ويقول مثلاً: (وظنوا أن لا مأوى من الله الا اليه)؟

الجواب: **لاختصاصه بالمستغيثين**: لفظ الملجأ هو ما يكون حاميا للمشردين والهاربين والمحتاجين وليس المكان فحسب بل تطلق على غيره من الانسان ام الحق سبحانه كما في دعاء اول أيام شهر رمضان (ويا ملجأ الهاربين,ويا صريخ المستصرخين) [8]. بخلاف التعبير بلفظ المأوى فهو يطلق على السكن والمكث من دون هروب وخوف. وكلامنا هنا في مقام الخوف والهروب.

---

[7] الامالي، الشيخ الصدوق, ص342

[8] مصباح المتهجد, الشيخ الطوسي, ص613

السؤال الثاني والعشرون: لم تصرح الآية أنّهم (الثلاثة) تابوا أو طلبوا التوبة حتى تقبل توبتهم فكيف يقول سبحانه (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا) بل كان الكلام في ذكر حالهم من الضيق وغيره؟

الجواب: **للاختصار**: لم يذكر سبحانه التفصيل لكونه معروف من خلال النتيجة ومقدمة الكلام (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ...) فهي تتحدث عن قبول المولى توبة هذه الشرائح الذين من ضمنهم (الثلاثة), مع ان التوبة لابد من طرفين فذكر الطرف الثاني دلالة على تحقق الطرف الأول بالملازمة.

السؤال الثالث والعشرون: ما هي الحكمة في التعبير بحرف العطف (ثم) هنا في قوله: (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا) دون التعبير حرف (الواو) أو (الفاء) كأن يقول: (وتاب عليهم أو فتاب عليهم)؟

الجواب: **لتحقيق لوازم التوبة**: قبول التوبة له مقدمات وشروط يلزم تحققها وايجادها ومن ثم يأتي القبول لها وهي العزم على عدم العود والندم على الفعل القبيح وأداء الحقوق وكل هذا يحتاج وقت والتعبير بـ(ثم) يفيد التراخي أي سابق قبول التوبة فترة زمنية بخلاف التعبير بحرفي (الواو) و (الفاء).

السؤال الرابع والعشرون: لماذا اظهر سبحانه اسم الجلالة (مِنَ اللَّهِ) هنا (أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ) بينما أضمره بعد ذلك (إِلَّا إِلَيْهِ)؟

الجواب الأول: **للتخلص من الابهام وافادة الاختصار**: التعبير في الأول باسم الجلالة (الله) لكي يرفع الابهام حيث من دونه يلزم ابهام غير الله وفي اضمار لفظ الجلالة ثانياً (إِلَيْهِ) لافادة الاختصار لكون ذكره الاسم تقدم واعادته يلزم تكرار.

الجواب الثاني: **إشارة الى القرب والبعد**: يطرح القران مسألة قرب الله وبعده في جملة من الآيات فالتي تتحدث عن القرب منها قوله تعالى: (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) و (مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ...) وهناك آيات أخرى تشير الى بعد الحق سبحانه من قبيل قوله (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) وهذا يشير الى معنيين مهمين حضوره سبحانه واحاطته وأيضا بعد منزلته وعظمته وربما هذان المعنيان تفيدهما هذه العبارة بشكل مختصر (مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ).

السؤال الخامس والعشرون: ما هو الداعي في تكرار التوبة (لِيَتُوبُوا) هنا في قوله (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا)؟

الجواب الأول: **التسهيل والقبول**: أشار سبحانه الى مسألة مقدمات التوبة وهي أيضا راجعة اليه اما ان يكون قد وفر لهم مستلزماتها وطرقها, واما قبوله لتوبتهم كي يتوبوا حيث أنّ المذنب والمجرم اذا علم عفوا من قبل السلطان يستسلم تائبا في الاعم الاغلب.

الجواب الثاني: **بمعنى الرحمة**: تقدم ان التوبة في الآية السابقة بمعنى الرحمة على النبي' والمهاجرين ... وهنا اكمال الى ان رحمته شملت هؤلاء الثلاثة لكي يتوبوا الى الله أي انه رحم امته سواء خرجوا معه أو تخلفوا وتندموا[9].

السؤال السادس والعشرون: ما هي الثمرة في مجيء الحرف المشبه بالفعل (إنّ) هنا في قوله: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) دون الاستغناء عنه كأن يقول مثلاً: (والله هو التواب الرحيم)؟

الجواب: **للتأكيد**: طالما يؤكد سبحانه على أهمية التوبة وانّ الباب مفتوح لكل من أحب الى اخر لحظات حياته حتى الذين لطخت أيديهم بالدماء كفرعون وامثاله مما لا نجدها عند غيره من الدساتير فتحتاج الى تأكيد مستمر.

السؤال السابع والعشرون: لماذا استعمل سبحانه الاسم الظاهر (الله) هنا في قوله: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) دون الاكتفاء بالضمير للاختصار ويقول مثلاً: (وانّه هو التواب الرحيم)؟

الجواب: **لتعميم المعنى**: أراد ان يبين سبحانه في ذيل الآية مطلباً عاما ومهماً وهو المبالغة في قبول التوبة والرحمة ليلفت أنه سبحانه يتصف بهذين الصفتين ليس فقط هنا بل في كل الأحوال.

السؤال الثامن والعشرون: ما هي الغاية في مجيء الضمير المنفصل (هو) هنا في قوله: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) مع جواز الاكتفاء باسم الجلالة؟

الجواب: **لافادة الحصر والتأكيد**: هاتين الشعيرتين من الأولويات في صفات المولى وهو كثير التوبة لكل من طلبها وايضاً رحمته وسعت كل شيء, كما تقول مثلاً هذا هو العالم يختلف عن قولك هذا عالم. فالأولى أبلغ.

السؤال التاسع والعشرون: لماذا قدم صفة التوبة على صفة الرحمة هنا في قوله: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) ولم يكن العكس كأن يقول: (ان الله هو الرحيم التواب)؟

[9] تفسير الميزان, السيد الطباطبائي, ج9 ص400

الجواب: **التوبة علة للرحمة**: يلزم تقدم التوبة لكونها بمثابة التطهير وقلع الادران والتطهير مما يسمع لدخول الرحمة.

السؤال الثلاثون: ما هو الداعي في ذكر صفة (الرحيم) هنا في قوله: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) مع أنّ الكلام حول التوبة وقبولها وقد تتحقق بالاقتصار على (التواب)؟

الجواب الأول: **لبيان شمول الفيوضات**: أشار سبحانه انه لم يغفر فقط بل يفيض عليه بالرحمة والثواب وهو امر زائد على التوبة.

الجواب الثاني: **التوبة من مصاديق رحمته**: عندما يفتح المولى هذا الباب للجميع ويغفر لهم فهو من منطلق الرحمة.

الجواب الثالث: **لمقتضى المقام**: تقدم أنّ التوبة هنا جاءت تحمل المعنيين معنى الرحمة ومعنى الغفران بحسب مقتضى الحال فهناك من يحتاج الى الرحمة كالنبي' والمؤمنين ومنهم من يحتاج الى التوبة كالذين تقاعسوا عن الخروج فذكر التواب للتك الفئة والرحيم لهذه الفئة.

السؤال الحادي والثلاثون: لماذا ذكر سبحانه هنا في ذيل الآية: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) صفتين واغفل باقي الصفات ولم يقل مثلاً: (والله الحكيم العزيز) أو غيرهما من الصفات؟

الجواب: **لمقتضى السياق**: الكلام هنا حول التوبة وغفران المعاصي والاخطاء وشمول الرحمات من العسرة والظروف المؤلمة.

السؤال الثاني والثلاثون: ما هو السبب في استعمال اسم (الرحيم) هنا في قوله: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) دون اسم (الرحمن) كأن يقول: (أن الله هو التواب الرحمن)؟

الجواب الأول: **لخصوصية الرحمة بالمؤمنين**: الرحمن عامة تشمل كل مخلوقاته حتى غير المؤمنين بخلاف الرحيم لها خصوصية بالمؤمنين والسياق هنا حول المؤمنين مع النبي'.

الجواب الثاني: **لخصوصها بالافعال**: الرحمن صفة تشير لمعنى الذات الإلهية (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) وقوله: (مِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) وغيرها كثير تشير الى ان الرحمن يدل على لفظ الجلالة أي الصفات الذاتية بخلاف الرحيم تشير الى الأفعال أي الصفات الفعلية والكلام خول الجوانب الفعلية في نزول الفيوضات على العباد.

السؤال الثالث والثلاثون: ما هو الداعي في مجيء (ال) التعريف في لفظ (التواب) و (الرحيم) هنا في قوله: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) دون الاستغناء عنهما ويقول مثلاً (هو تواب رحيم)؟

الجواب الأول: **للشمول والحصر**: الكلام في مقام الحصر والتأكيد والشمول بأن الحق سبحانه هو التواب وهو الرحيم أي جامع لكل مصاديق ومعان هذين اللفظين اذا قلنا (ال) للجنس وأيضا اذا قلنا للعهد تفيد التأكيد والحصر.

الجواب الثاني: **لمعرفة المقصود**: فيها إشارة وبيان أنّ التائب والرحيم معروف وجلي وحاضر لمن قصده ولجأ اليه ولم يكن مبهم ونكرة وصعب الحصول والوصول بل أقرب ما يكون لمن أراد.

دروس مستفادة من الآية

درس أخلاقي: التستر على الغير

نستفيد من قوله تعالى: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) التستر على الغير وذلك لم نجد سبحانه أنّه صرح بأسماء الثلاثة أو بالقابهم وانتمائاتهم وانما ابهم ذواتهم ولم يشهرهم امام الملأ مما يعطينا بعداً اخلاقياً مهماً في الحفاظ على عدم التشهير بالغير أيا كان وسواء بيننا خلاف وعداء ام لا, عن ابي عبدالله: ومَنْ سَتَرَ عَلَى مُؤْمِنٍ عَوْرَةً يَخَافُهَا سَتَرَ اللَّه عَلَيْه سَبْعِينَ عَوْرَةً مِنْ عَوْرَاتِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ[10].

درس تربوي: معالجة عوامل التقصير

نستلهم من خلال التعبير في المبني للمجهول (خُلِّفُوا) في قوله تعالى: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) مراجعة ومراقبة عوامل التقصير والخطأ حيث جاء التعبير مشير أنّ هناك عوامل أدت الى هذا النقص والوقوع في هذه المعصية من التخلف, عن ابي عبد الله المؤمن لَا يُلْسَعُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ[11].

درس أخلاقي: التلبس بالمغفرة

) الكافي, الشيخ الكليني, ج2 ص20010(

) الكافي, الشيخ الكليني, ج2 ص24011(

نفهم من خلال قوله تعالى: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) المغفرة والعفو والرحمة لكل مخطئ حيث المولى هنا رحم وعفى عن أولئك الذين اخطأوا بحقه وتمردوا على احكام الله وطاعة رسوله ثم التجأوا واعتذروا مما يبعث في كل مؤمن ان يتلبس بهذه الشعيرة في العفو والتجاوز. كما في الدعاء: يا من أمر بالعفو والتجاوز [12].

درس اجتماعي: **العدالة والانصاف**

أشار سبحانه في قوله: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) الى القسم الثالث من الذين شملتهم التوبة والرحمة من دون ان يجمعهم في تعبير واحد ليبن اختلاف مراتبهم وكل مرتبة لها استحقاقها بهذه الدقة من العد والانصاف وضياع المراتب العليا بالسفلى. عن أبي عبد الله، قال: إني لأرحم ثلاثة وحق لهم أن يرحموا: عزيز قوم أصابته مذلة بعد العز، وغني أصابته حاجة بعد الغنى، وعالم يستخف به أهله والجهلة[13].

درس أخلاقي: **العجلة بالتوبة**

نستوحي من قوله تعالى: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) في جعلهم بالمرتبة الأخير في مصاف التوبة وبعد الضيق والشدة لكونهم تأخروا في التوبة ولم يعاجلوا ويدركوا امورهم كالقسم السابق وبقوا في آخر مرحلة في شمولهم التوبة مما يؤكد الاستعجال بالتوبة والانابة وعدم التأخير كما جاء عن النبيّ عجّلوا بالتّوبة قبل الموت[14].

درس عسكري: **مواجهة الأعداء وعدم التقاعس**

نستفيد من الآية في قوله تعالى: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) رفض التقاعس عن الجهاد بل لزوم محاربة الأعداء في كل الأحوال, وهذا ما نراه من توبيخ ومحاسبة النفر الثلاثة الذين تخلفوا مع انّ تخلفهم لا يؤثر في انهيار الجيش الإسلامي إلا ان المراد أنّ لا يسمح للجميع التقاعس والتخلف عن الجهاد ومواجهة الأعداء بل عليهم تحمل المسؤولية, كما في قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ).

درس أخلاقي: **أبعاد التوبة الحقيقية**

) المزار, محمد بن جعفر المشهدي, ص19612(

) الامالي, الشيخ الصدوق, ص6313(

)مفاتيح السعادة في شرح نهج البلاغة, محمد تقي الخرساني, ج5 ص34914(

نفهم من الآية في قوله: (حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ...) حصول آثار خارجية حسية ومعنوية للتوبة ليس مجرد قول باللسان, حيث ذكر المولى حالهم من الضيق المطبق والجزم على ايمانهم وهو ما يعبر عن مدى الندم الذي اعتراهم مما أدى الى قبول توبتهم, وهذا يرشدنا الى التعامل الواقعي بعد الأخطاء وحصول التغير الجذري.

درس اجتماعي: **الوعي الاجتماعي**

نستلهم من الآية في قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) نبذ المجتمع لهؤلاء (بحسب قول المفسرين) لتخلفهم عن الجهاد ونصرة الحق ولم يبق عندهم مأوى وانيس, وذلك يعبر عن مدى الصحوة التي يتمتع بها هذا المجتمع وعدم ترك فجوات للاعداء ينفذون من خلالها لا سيما في عصرنا فالعدو يراهن على تغيير الوقائع من الداخل عن طريق تهديم البنية الفكرية واستغلال مواطن الجهل.

درس أخلاقي: من **اثار الذنوب المادية**

نستفيد من خلال قوله تعالى: (وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ) مدى الآثار التي تخلفها الذنوب والمعاصي من جملتها الضيق النفسي وضيق العيش والحيات كما صرحت به الآية حيث يجد المذنب في نفسه وحياته ضيق شديد فحري بنا أنّ نبتعد من ونتنزه من ارتكاب المعاصي أياً كانت كما عبر عنه سبحانه (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا).

درس عرفاني: **أهمية البعد المعرفي**

نستوحي من خلال قوله تعالى: (وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ) جانب مهم في المسيرة المعنوية وهي البعد المعرفي حيث أشارت الآية الى أنّ هؤلاء الثلاثة وصلوا الى مرتبة الإخلاص المطلق او توحيد المرجع دون غيره مما غير مسيرتهم العملية نحو الهداية والرشاد مما يرشدنا الى أهمية الوصول الى هذه الشعيرة وان لا نرى غير الله كما في الدعاء: اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف رسولك... [15].

درس تربوي: **إيجاد مقدمات للتوبة**

) مصباح المتهجد, الشيخ الطوسي, ص41115(

نستلهم من الآية (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا) من خلال التعبير بـ(ثم) التي تفيد التراخي أنّ هناك مقدمات لتحقق التوبة سواء كانت مادية أم معنوية ثم يأتي دور التوبة من قبل المولى ليس المسألة مقتصرة على الكلام فقط والنية فينبغي لكل تائب أن يعمل أولا على تحقق مقدماتها ومن ثم يطلبها. كما قال النبيُ التائب إذا لم يستبن عليه اثر التوبة فليس بتائب يرضى الخصماء ويعيد الصلوات و يتواضع بين الخلق ويتقى نفسه عن الشهوات ويهزل رقبته بصيام النهار و يصفر لونه بقيام الليل... (الى ان قال) فهذا اثر التوبة وإذا رأيتم العبد على هذه الصفة فهو تائب ناصح لنفسه[16].

درس عسكري: **التعبئة النفسية**

نفهم من الآية: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ...) عدم الاجبار بالالتحاق بجيش الإسلام وعدم اتخاذ الدولة بحق المتخلفين أحكام قضائية وعقوبات كما هو واضح من الآية ولكن هناك عقوبة من المجتمع ومن ضمائر المتخلفين مما جعلهم بهذا الحال وهذا يرشد الى مدى أهمية العمل على تعبئة الشباب نفسيا ومعنويا للدفاع عن بلدهم ومقدساتهم.

درس عقدي: **المرجعية المطلقة لله**

نستفيد من قوله تعالى: (وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ) أنّ المرجع الوحيد بكل الأمور هو الله لا غير كما حصرت الآية ذلك في عدم وجود ملجأ الا هو سبحانه وهذا يعبر أن الرجوع الى غيره مجرد أسباب ظاهرية ليس واقعية وانما المؤثر الواقعي هو الله سبحانه لا غير في كل شيء كما في الدعاء: **وأنت صريخ المستصرخين فلك الحمد، وأنت غياث المستغيثين فلك الحمد**[17].

درس عقدي: **توحيد الله**

نستشعر من قوله تعالى: (وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ) شعيرة التوحيد حيث قالت الآية لا يوجد ملجأ من الله الى هو ليثبت بوضوح عدم الشريك والند الملجأ ومرجع العباد والكون له فقط كما عن الباقر: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد...) [18].

) جامع احاديث الشيعة, السيد البروجردي, ج14 ص35116(

) مصباح المتهجد, الشيخ الطوسي, ص41117(

) مصباح المتهجد, الشيخ الطوسي, ص41118(

درس تربوي: **الحذر من الانانية والدكتاتورية الفكرية**

نستفيد من خلال قوله تعالى: (وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ) الحذر من التعنت والتعصب بالرأي واقصاء آراء الآخرين حيث عبرت الآية بلفظ (ظنوا) مما يشير الى عدم القطع واليقين ليكون هو الصح وغيره على خطأ بل هو وصل الى هذا الرأي وليس له تخطئة أو اقصاء الآخرين وهذا يعد من السلوكيات المهمة في مسيرة حياتنا العلمية كما في قوله: (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ).

درس أخلاقي: **التوبة تحتاج توفيق من الله**

نستوحي من خلال قوله تعالى: (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا) احتياج التائب الى توفيق من قبل الله لكي يكون في مصاف التائبين وذلك عبر أنّ الله تاب عليهم أي رحمهم وسهل لهم طرق التوبة ليحظوا بها ويتوبوا ولذلك تحتاج الى دعاء كما جاء: ربنا تب علينا وارحمنا واهدنا واغفر لنا.. [19]. فحري بنا أن سأل الله أنّ يوفقنا للتوبة باستمرار.

درس أخلاقي: **التخلية ثم التحلية**

نستلهم من خلال قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) لزوم التطهير وتخلية الذنوب ومن ثم تقبل النفحات الربانية والروحية وذلك قدم سبحانه (التوبة) على (الرحمة) لانها تحتاج أرضية لتدخل من دون مانع وحاجب فهذا يبعث بنا الى الاهتمام في تطهير النفوس والقلوب وتهذيبها وتهيئة الأرضية بشكل كامل الى توغل النفحات الربانية. كما أشار سبحانه: (إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ).

درس أخلاقي: **التلبس بالرحمة**

نستشعر من خلال قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) ضرورة التلبس بالرحمة وذلك بما اتصف بها المولى وأكد عليها وجاءت بصيغة المبالغة (الرحيم) ليكن العبد المخلوق بهذه الصفة ويتلبس بها من باب أولى كما جاء في الحديث عن رسول الله' (ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء) [20].

درس تربوي: **عدم غلق الأبواب**

---

[19]) الدروع الواقية, السيد ابن طاووس, ص19332(

[20]) من لا يحضره الفقيه, الشيخ الصدوق, ج4 ص37920(

أشار سبحانه بقوله: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) الى أنّ هناك بابا مفتوحا ولم تغلق امام العبد كل الأبواب وهو باب التوبة يلجأ اليه مما يلزمنا في كل تعاملاتنا الاسرية والاجتماعية وحتى الإدارية لابد ان نجعل للآخر باب خروج وليس من الصحيح اقفل كل الأبواب أمامه ربما يتحول الى عدو قاتل.

جميع الحقوق محفوظة